

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ شُبْرُمَةَ

أَعْلَامُ الْقَضَاءِ

obeikandi.com

عبد الله بن شبرمة

الإمام العلامة، فقيه العراق أبو شبرمة. قاضي الكوفة عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان بن المنذر من بني بكر بن سعد بن ضبة. شاعر، وفقيه.

ولد في أواخر عهد معاوية، ونشأ على حفظ القرآن ورواية السنة.

عن مغيرة قال: كان ابن شُبْرُمَةَ لي صديقاً فلما ولي القضاء قال: لا تكلمني في شيء من أمر القضاء.

تولى قضاء الكوفة زمن يوسف بن عمر أحد ولاة أبي جعفر المنصور (١).

لما ولي القضاء دخل المسجد فصلي أربع ركعات قبل أن يجلس ثم سلم وقال: اللهم إن هذا المجلس كنت أشتهيه وأتمناه عليك اللهم فكما ابتليتني به فسلمني منه وأعني عليه ثم بكى حتى بل بدموعه خرقة كانت في يده.

حدث عن أنس بن مالك، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، وأبي وائل شقيق، وعامر الشعبي، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وإبراهيم التيمي، وإبراهيم النخعي، وسالم بن عبد الله، والحسن البصري، ونافع، وسالم بن أبي الجعد، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وأبي زرعة، وطائفة.

(١) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٢ / ٦٦٦.

وحدث عنه: الثوري، والحسن بن صالح، وابن المبارك، وهشيم، وعبد الواحد بن زياد، وسفيان بن عيينة، وعبد الوارث بن سعيد، وأحمد بن بشير، وهيب بن خالد، وشعيب بن صفوان، وخلق سواهم.

وثقه أحمد بن حنبل، وأبو حاتم الرازي، وغيرهما. وكان من أئمة الفروع، وأما الحديث، فما هو بالكثير منه، له نحو من ستين أو سبعين حديثاً.

وقد أثني عليه معاصروه من المحدثين والفقهاء وأرباب العلوم فقد قال أحمد بن عبد الله العجلي: كان ابن شبرمة عفيفاً صارماً، عاقلاً، خيراً، يشبه النساك. وكان شاعراً، كريماً، جواداً. له نحو من خمسين حديثاً.

وروى ابن فضيل، عن ابن شبرمة قال: كنت إذا اجتمعت أنا والحارث العكلي على مسألة لم نبال من خالفنا.

وقال فضيل بن غزوان: كنا نجلس أنا وابن شبرمة، والحارث بن يزيد العكلي، والمغيرة، والقعقاع بن يزيد بالليل نتذاكر الفقه، فربما لم نقم حتى نسمع النداء بالفجر.

وقال عبد الوارث: ما رأيت أحداً أسرع جواباً من ابن شبرمة.

وقال معمر: رأيت ابن شبرمة إذا قال له الرجل: جعلت فداك، يغضب، ويقول: قل: غفر الله لك^(١).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٥٠/٦، التاريخ الكبير للبخاري ٣٤٩/٥ الجرح والتعديل ٣٨١/٥، سير أعلام النبلاء ٣٤٧/٦، ميزان الاعتدال ٤٣٧٥/٢، تاريخ الإسلام ٨٨/٦، تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٥٠/٥، ٢٥١. تقريب التهذيب (٣٣٨٠)، وقال: شبرمة بضم المعجمة وسكون الموحدة وضم الراء.

مواقف من حياته - رحمه الله - :

فاكفني شر عواقبه

لما ولي عبد الله بن شبرمة القضاء قال: اللهم إنك تعلم أنني لم أجلس هذا المجلس لأنني أحبه وأشتهيه، فاكفني شر عواقبه (١).

قتلني الله إن لم أقتل الأعرابي

قال أحمد العجلي: كان والي الكوفة عيسى بن موسى لا يقطع أمرا دون ابن شبرمة. قال: فبعث أبو جعفر المنصور إلى عيسى بعمه عبد الله بن علي ليحبسه، ثم كتب إليه أن يقتله، فإنه.. وإنه.. فاستشار ابن شبرمة، فقال له: لم يرد المنصور غيرك؟! وكان عيسى ولي العهد. فقال: ما ترى؟ قال: احبسه واكتب إليه أنك قتلتَه. ففعل. فجاء أخوه عبد الله إلى عيسى فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أقتله، فقد قتلتَه، فرجعوا إلى أبي جعفر فقال: كذب، لأقيدنه به. فارتفعوا إلى القاضي. فلما حققوا على عيسى أخرجه إليهم. فقال أبو جعفر: قتلني الله إن لم أقتل الأعرابي - يريد ابن شبرمة - فإن عيسى لا يعرف هذا. قال: فما زال ابن شبرمة مختفيا حتى مات بخراسان. سيره إليها عيسى بن موسى.

روى ابن فضيل عن أبيه، قال: كان ابن شبرمة، ومغيرة، والحارث العكلي يسهرون في الفقه، فربما لم يقوموا إلى الفجر. توفي سنة أربع وأربعين ومائة أرخه أبو نعيم والمدائني.

ما في القضاء شفاعاً لمخاصم

قال زهير بن حرب عن جرير: قضى ابن شبرمة بقضية، فبلغه

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ١٩٤، ٣٧١، ٤٠٨.

حاملاً وتقوم حائلاً ويغرم قدر ما بينها.

فأما الحرام فلا سبيل إليه

- عن معمر قال: لما عزلوه شيعته - يعني ابن شبرمة - وكان ولي القضاء. قال: فلما انصرف الناس وأفردني وإياه المسير ولم يكن معنا أحد نظر إلي فقال: يا أبا عروة أحمد الله أما أني لم أستبدل بمقيصي هذا قميصاً منذ دخلتها. قال: ثم سكنت ساعة فقال لي: يا أبا عروة إنما أقول لك الحلال فأما الحرام فلا سبيل إليه.

نذر أن يطلق امرأته؟

عن ابن شبرمة قال: سئل الشعبي عن رجل نذر أن يطلق امرأته؟ فقال: ليس بشيء. قال: قال ابن شبرمة: فأنا نهيت الشعبي، فقال الشعبي: ردوا علي الرجل فقال له نذرك في عنقك إلى يوم القيامة.

إن كان يقوله فقد جن

حدثنا سفيان قال: ثنا ابن شبرمة قال: رأيت الشعبي وهو داخل المسجد يريد إلى جرير فأعطيته يدي قلت له: والله لولا أني أصيب منك أفضل مما تصيب مني ما أعطيتك يدي، ما تقول في قوم محرمين أشار بعضهم إلى صيد وصاد بعضهم؟ فقال: على كل واحد منهم عدلة. قال ابن شبرمة: فقلت له: فإن حماداً يقول عليهم جزاء واحد. فقال الشعبي وكنا نمشي فقال: بالله يقوله؟! قلت: نعم. قال: إن كان يقوله فقد جن. قال: ابن شبرمة: ثم أتيت مجلساً كنا نجلسه فيه هبيرة وشباك والحارث العكلي ولم يكن أحد من أصحابي أشد علي خلافاً منه، وأخبرته بما قال الشعبي وبما قال حماد. فقال: القول ما قال حماد عليهم جزاء واحد، ألا ترى أن قوماً لو قتلوا رجلاً خطأ لم يكن عليهم إلا دية واحدة. فقلت أنا: بل القول ما قال الشعبي على كل واحد منهم جزاء، ألا ترى أن قوماً لو قتلوا رجلاً خطأ

كان على كل واحد منهم كفارة عتق رقبة. قال ابن شبرمة: فقاس الشعبي على الكفارة وقاس حماد والحارث على الدية.

وأنت أيضاً ممن ينظر ولا تغير!.

- عن عمار الدهني قال: مررت على ماهان الحنفي^(١) حين صلب والناس ينظرون إليه، قال: فقال لي: يا عمار وأنت أيضاً ممن ينظر ولا تغير!^(٢).

من قضاء ابن شبرمة

أتى رجل ابن شبرمة يقوم يشهدون له على قراح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولاً فسألهم: كم في القراح من نخلة؟ قالوا: لا نعلم. فردّ شهم نتهم. فقال له رجل منهم: أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فأعلمنا: كم فيه من أسطوانة؟ فأجازهم.

سحابة صيف عن قريب تقشع

ومر طارق صاحب شرطة خالد القسري بابن شبرمة، وطارق في موكبهِ فقال ابن شبرمة:

أراهم وإن كانت تحبّ كأفهم ... سحابة صيف عن قريب تقشع
اللهم لي ديني ولهم دنياهم. فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء، فقال له ابنه: أتذكر يوم مرّ بك طارق في موكبهِ وقلت ما قلت؟ فقال: يا بني، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك. إن أباك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم^(٣).

(١) صلبه الحجاج بن يوسف الثقفي وأمر بطعنه وهو يسبح.

(٢) أبو يوسف يعقوب بن سفيان القسوي (المتوفى: ٣٤٧هـ)، المعرفة والتاريخ، المحقق:

خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ٢ / ٣٤٨.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ١ / ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٢٩.

وقد كانت مع أمير المؤمنين

قال جبلة بن محمد بن جبلة: لما دخل أبو مسلم الكوفة أمر أن يكون إلى جانبه رجل تعرفه الناس، فجاءوه برجل فلقبه عبد الله بن شبرمة الضبي، فسلم عليه ودعا له فأقبل عليه لجلالته وفصاحته، فقال له الرجل هذا ابن شبرمة الضبي، قال فزوى وجهه عنه ففطن ابن شبرمة لذلك، وقال قلت في نفسي ذكر والله يوم الجمل، فقلت أيها الأمير إني من ضبة الكوفة ولست من ضبة البصرة، وقد كانت مع أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم الجمل تقاتل ضبة البصرة، قال فأقبل علي وقال كن معنا فسايرته إلى أن نزل وأمرني فنزلت، فدخلت معه بيتاً فيه سيف ومصحف، فقال يا بن شبرمة إن هذا يريد المصحف يأمرني بهذا يريد السيف فقلت قد علم الأمير أن هذا ينهاه عن هذا إلا في حقه، قال صدقت، ثم كتب كتاباً إلى عبد الله بن علي يحضه فيه على صلة الرحم وجمع الألفة والبيعة لابن أخيه المنصور، ويرغبه ويرهبه، فلما فرغ منه قال لي انظر فيه فنظرت فإذا هو لم يبق غاية، فقال زد فيه شيئاً يا ابن شبرمة، قال فلم أر للزيادة وجهاً إلا أن يكون شعراً فقلت:

قُلْ لِأَخِي مُكَاشَرَةً وَضَعْنِ :: سَعَرَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ بَنِي أَبِيكَ
فَأَوْرَثَتِ الضَّغَائِنَ مِنْ بَنِيهِمْ :: بَنِي أَبْنَائِهِمْ وَبَنِي بَنِيكَ
وَلَوْ طَاوَعْتَنِي وَقَبِلْتَ رَأْيِي :: لَسَرْتُ لَهُمْ بِسِيرَةٍ أَوْلَيْكَ
وَأَقَرَّرْتُ الْخِلَافَةَ حَيْثُ حَلَّتْ :: وَلَمْ تَعْرِضْ لِمُلْكِ بَنِي أَخِيكَ
كَأَنَّكَ قَدْ أَصَابَكَ سَهْمٌ غَرْبٍ :: وَغَادَرَكَ الْعُدَاةُ وَأَسْلَمُواكَ

فقرأه فاستحسنه، وأنفذ الكتاب، فعاد الجواب من عبد الله ابن

علي:

ذَرِينِي وَمَا جَرَّتْ عَلَى يَدِ الدَّهْرِ :: فَمَا يَصْعُبُ الْأَمْرُ الْمَهُولُ عَلَى حُرٍّ

يَرَى الْمَوْتَ لَا يَنْحَاشُ عَنْهُ تَكْرُمًا :: وَصَبْرًا وَإِنْ كَانَ الْقِيَامُ عَلَى الْجَمْرِ
حِفَظًا لِمَا قَدْ وَرَّثْنَا جُدُودَنَا :: وَصَبْرًا وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ
بِذَلِكَ أَوْصَانَا الْكِرَامَ وَلَمْ نَزَلْعَلَى :: تِلْكَ نَمْضِي لَا نَضْجُ مِنَ الدَّهْرِ

إن كانت لهم حلالاً فهي عليكم حرام

قال عبد الرحمن الأزاعي: بعث إلى عبد الله بن علي وأعظمني ذلك واشتد على فأقدمت وأدخلت عليه والناس قيام سماطين بين يديه في أيديهم المكافر كوبات فأدنانني ثم قال لي يا عبد الرحمن ما تقول في مخرجنا هذا؟ فقلت أصلح الله الأمير قد كانت بيني وبين أخيك داود مودة فأعفني، قال لتخبرني، فقلت لأصدقته واستبسلت للموت، فقلت حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة ابن وقاص سمع عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» قال وفي يده قضيب ينكت به الأرض، فقال يا عبد الرحمن ما تقول في قتلنا أهل هذا البيت من بني أمية؟ فقلت كما قلت قال لتخبرني فقلت حدثني محمد بن مروان عن مطرف بن الشَّخِيرِ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ قَتْلُ الْمُسْلِمِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثِ الْبَارِئِ لِدِينِهِ أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ نَفْسًا فَيَقْتُلُ بِهَا أَوْ رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ» قال ثم أطرق هويماً، ثم قال أخبرني عن الخلافة أهي وصية من رسول الله ﷺ فورد على مثل ما ورد ثم قلت لأصدقته. فقلت لو كانت وصية من النبي ﷺ لكم ما ترك علي عليه السلام أحداً يتقدمه، ثم سكت سكتة وقال ما تقول في أموال بني أمية؟ فاستعفيت فقال لتخبرني فقلت إن كانت لهم حلالاً فهي عليكم حرام، وإن كانت لهم حراماً فهي عليكم حرام، قال ثم أمرني فأخرجت.

له أذنين مشقوقتين

كلم رجل عيسى بن موسى في شيء وعنده عبد الله بن شبرمة القاضي فقال عيسى للرجل من يعرفك قال ابن شبرمة قال أتعرفه قال إني لا أعلم أن له شرفاً وبيتاً وقدماً فلما خرج ابن شبرمة سئل عن ذلك فقال أعلم أن له أذنين مشقوقتين وأن له بيتاً يأوي إليه وأن له قدماً يطا بها^(١).

سنوران في البيت فاستر عليّ

قال المدائني: سقط عبد الله بن شبرمة القاضي عن دابته، فوثقت رجله، فدخل عليه يحيى بن نوفل الشاعر عائداً له ومادحاً، وكان جاره فأنشده:

أقول غداة أتانا الخير :: ودس أحاديثه هينمه
لك الويل من مخبر ما تقول؟ :: أبني وعدّ عن الجمجمه
فقال خرجت وقاضي القضا :: ة منفكةً رجله مؤله
فقلت وضقت عليّ البلاد :: وخفت المجللة المعظمه
فغزوان حرّ وأم الوليد :: إن الله عافى أباشبرمه
جزاءً لمعرفه عندنا :: وما عتق عبد له أو أمه

قال: وفي المجلس جازّ ليحيى بن نوفل يعرف ما في منزله، فلما خرج تبعه، فقال له: يا أبا معمر! رحمك الله من غزوان وأم الوليد؟ قال: سنوران في البيت فاستر عليّ^(٢).

أنا وأنت لا نتفق

وكان أبو وائلة إياس بن معاوية - على تقدمه في البلاغة، وفضل

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ١٠٣.

(٢) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١/ ٥٥، ١/ ١٩١.

عقله وعلمه - بالإكثار مَعِيْباً، وإلى التطويل مَنسُوباً، وقال له عبد الله بن شبرمة: أنا وأنتَ لا تنفق، أنتَ لا تشتهي أن تسكت، وأنا لا أشتي أن أسمع. وقيل له: ما فيك عيبٌ إلا كثرة كلامك. قال: أفَتَسْمَعُونَ صواباً أم خطأ؟ قالوا: بل صواباً، قال: فالزيادةُ في الخير خير^(١).

فلا خير في المعروف إذا أحصى

- قال له رجل: صنعتَ إلى فلان، وصنعت، فقال: اسكت، فلا خير في المعروف إذا أحصى. وكان إذا وُلِدَ له غلام يقول: اللهم اجعله بَيِّ برا، واجعل لَدُنَّته في بلده^(٢).

ما هو إلا الهلاك أو الرحمة

قال عبد الله بن شبرمة القاضي: دخلت على أبي مسلم الخراساني وفي حجره مصحف، وبين يديه سيف، فقال لي: أنت ابن شبرمة؟ قلت: نعم أصلحك الله؛ فقال: ما هو إلا الملك أو الترهب، قلت: ما هو إلا الهلاك أو الرحمة^(٣).

إني كنت لأكره أن أراك أميراً

قال ابن شُبرُمَة، عَن بعض أصحابه: بينما معاوية في نفر من أصحابه، ومنهم الأحنف بن قيس، إِذْ قَالَ: رجل: لو أن أبا سُفْيَانَ ولد الناس ولدهم حلماء! قَالَ: الأحنف: لكنه ولد الناس من هو عند الله خير من أبي سُفْيَانَ، ولدهم آدم أبو البشر، فكان فيهم العالم والسفيه والحليم،

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأدب وثمر الألباب، تحقيق: أ. د. / يوسف على طویل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ١ / ١٥٣.

(٢) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٥ / ٩٦.

(٣) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣ / ١٦١.

فَقَالَ: معاوية: يا أحنف إن كنت لأكره أن أراك خطيباً، قَالَ: الأحنف: يا معاوية إنني كنت لأكره أن أراك أميراً، فلم يقل له معاوية شيئاً.
مالك حَيْثُ وَضَعَتْهُ

قال عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ وَكَيْعٍ: بعثت جاريةً إلى أَجَلٍ وأوجبتها له، فسألت عنه بعد، فقيل لي: إنه مفلس، فجاء يطلبها مني، فأبيت أن أدفعها إليها، فخاصمني إلى شريح، فقلت: إنني بعثت من هَذَا جاريةً إلى أَجَلٍ، وإنني سألت عنه فقيل لي: إنه مفلس لا شيء له، فجاء يطلبها مني. فَقَالَ: شريح: مالك حَيْثُ وَضَعَتْهُ، فادفع إلى الرجل جاريته، فقلت: لا أدفعها إليه لأنه مفلس، وأخاف أن يذهب مالي، قَالَ لي: قم فالزمه ما بيني وبين أن أقوم بأن دفعها إليك، وإلا فاتني به قبل أن أقوم حتى أحبسه لك.

أعلمك وتخالفني

قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ: دعانا صاحب الكوفة أنا وحماد فسألنا عَنِ الرَّجُلِ يَتَزَوَّجُ الْمَرْأَةَ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْفِقَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: حماد: يفارقها: فقال: ما تقول؟ قلت: سبحان الله إنما قَالَ: اللهُ: {لَا يَكْفِيُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطلاق: ٧]، لا لذي فاقة؛ فغضب حماد؛ فقام فأبطأت أنا حتى ذهب مخافة أن يعاتبني، فلما خرجت إذا هو جالس خلف الباب، فَقَالَ لي: مغضباً: أعلمك وتخالفني؛ قلت: إنني رأيت رأياً فقلته.

من امرأتك؟

عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ، قَالَ: دخلت على امرأة من بني عمرو بن تميم، فقالت لي: من امرأتك؟ قلت: فلانة الفلانية، وعرضت بنفسها ثم أنشدت.

يرى صاحب النسوان يحسب أنهم :: سواء وبون بينهم يعيد
فمنهن جنات يفيء ظلالها :: ومنهن نيران فهن وقود
كلمة أولها شرك، وآخرها إيمان

قال ابن شبرمة: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد
فسلمت عليه، وكنت له صديقاً ثم أقبلت على جعفر فقلت: أمتع الله
بك هذا رجل من أهل العراق له فقه، وعقل؛ فقال: جعفر: لعله الذي
يقيس الدين برأيه، ثم أقبل عليّ فقال: النعمان بن ثابت؟ فقال:
بوحنيفة: نعم، أصلحك الله! فقال: اتق الله ولا تقس الدين برأيك، فإن
أول من قاس إبليس إذ أمره الله بالسجود لآدم؛ فقال: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ
نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: ١٢]، ثم قال: له جعفر: هل تحسن أن
تقيس رأسك من جسدك؟ فقال: لا؛ قال: فأخبرني عن الملوحة في
العينين، وعن المرارة في الأذنين، وعن الماء في المنخرين، وعن
العذوبة في الشفتين، لأي شيء جعل ذلك؟
قال: لا أدري.

قال: جعفر: الله عز وجل خلق العينين فجعلهما شحمتين، وجعل
الملوحة فيها ضناً منه على ابن آدم ولولا ذلك لذابتا، فذهبتا، وجعل
المرارة في الأننين ضناً منه عليه، ولولا ذلك لهجمت الدواب، فأكلت
دماغه، وجعل الماء في المنخرين ليصمد التنفس، وينزل ويجد منه
الريح الطيبة من الريح الرديئة، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن
آدم طعم لذة مطعمه ومشربه.

ثم قال: له جعفر: أخبرني عن كلمة أولها شرك، وآخرها إيمان.

قال: لا أدري؟

قال: لا إله إلا الله،

ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَيُّمَا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ قَتْلُ النَّفْسِ أَوْ الزَّانَا؟

قَالَ: لَا، قَتْلُ النَّفْسِ

قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ رَضِيَ فِي قَتْلِ النَّفْسِ بِشَاهِدَيْنِ وَلَمْ يَقْبَلْ فِي الزَّانَا إِلَّا بِأَرْبَعَةٍ.

ثُمَّ قَالَ: أَيُّمَا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ الصَّوْمُ أَمْ الصَّلَاةُ؟

قَالَ: لَا بَلِ الصَّلَاةُ؛ قَالَ: فَمَا بِالِ

الْمَرْأَةِ إِذَا حَاضَتْ تَقْضِي الصِّيَامَ، وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ، اتَّقِ اللَّهَ يَا عَبْدُ اللَّهِ إِنْ أَنْفَقْنَا نَحْنُ وَأَنْتَ غَدًا وَمَنْ خَالَفَنَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، فَنَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيَقُولُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ: قَالَ: سَمِعْنَا وَرَأَيْنَا، فَفَعَلْنَا بِكُمْ مَا يَشَاءُ^(١).

مِنْ كَلَامِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

- مَنْ بَالِغٍ فِي الْخُصُومَةِ أَثَمَ، وَمَنْ قَصَرَ فِيهَا خَصِمَ.

- وَلَا يَطِيقُ الْحَقَّ مَنْ بَالَى عَلَى مَنْ دَارَ الْأَمْرَ.

- عَجِبْتُ لِلنَّاسِ يَحْتَمُونَ مِنَ الطَّعَامِ مَخَافَةَ الدَّاءِ وَلَا يَحْتَمُونَ مِنَ الذُّنُوبِ مَخَافَةَ النَّارِ^(٢).

- نَوْمُ نَصْفِ النَّهَارِ يَعْدِلُ شُرْبَةَ دَوَاءٍ، يَعْنِي فِي الصَّيْفِ^(٣).

وَمِنْ شَعْرِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

- رَأَيْتُ فُقْهَ رِجَالٍ فِي قِلَانِسِهِمْ :::: وَفِي ثِيَابِهِمُ الْفَحْشَاءَ وَالرِّيبَ^(٤)

(١) أَخْبَرَنَا الْقُضَاةُ، ٧٩/٣.

(٢) الزَّمْخَشَرِيُّ، رِبْعُ الْأَبْرَارِ، ١/ ١٩٤، ٣٧١، ٤٠٨.

(٣) ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ وَأَنْسُ الْمَجَالِسِ، ١/ ٥٥، ١/ ١٩١.

(٤) الزَّمْخَشَرِيُّ، رِبْعُ الْأَبْرَارِ، ١/ ١٩٤، ٣٧١، ٤٠٨.

- ما في القضاء شفعة لمخاصم
أهون عليّ إذا قضيت بسنة
وقضيت فيما لم أجد أثراً به
— اقض بما في كتاب الله مفترضاً
— وقل لأخي مكاشرة وضغن
وأورث الضغائن من بنيتهم
فلو شاورتني وقبلت رأيي
وأقررت الملامة حيث حلت
كأنك قد أصابك سهم غرب
— لو شئت كنت ككور في تعبده
قد حال دون لذيد العيش خوفهما
— ليوشك أن يحول الموت بيني
فكم من طائف رث رغيماً
أتاك الراغبون إليك سعيّاً
— إذا قلت جدوا في العبادة واصبروا
خلافاً لأصحاب النبي وبدعة
— فيا ليت شعري من يبين بعد ما
وعن وصل إخوان أتى الموت دونهم
فما وصل الإخوان مثل محافظ
— لا يخذل المولى لأول عشرة
فيذهب عنه الجهل أو يستعيده
— توفيت في الإحسان جهدي وطاقتي
فوالله ما آسى على ما فعلته
— إذا قضيت بمر الحق مجتهداً
— أقضي بما في كتاب الله مجتهداً
إذا قضيت بمر الحق مجتهداً
- عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أو بالكتاب برغم أنف الراغم
بنظائر معروفة ومعالم
وبالنظائر فاقض والمقاييس
سعت الحرب بين بني أبيك
بني أبنائهم وبني بنيك
لسرت لهم بسيرة أوليك
ولم تعرض للملك بني أبيك
وأسلمك العداة من أبعديك
أو كابن طارق حول البيت في الحرم
وسارعا في طلاب الفوز والكرم
وبين جوار بيتك والطواف
رهيباً بين منتعل وحاف
يسوقون المقلدة الصواف
أصروا وقالوا للخصومة أفضل
وهم بسبيل الحق أعمى وأجهل
يمكن لي في حفرة اللحد مضجع
أيرعون ذاك الوصل أو يتقطع
من القوم مرعى الأمانة مقنع
عسى في اختبار السن أن يتحكما
لعريض قوم مثله أن يحتما
إلى ابن أبي ليلى فأعقبني ذما
ولكن عجز الرأي يحدث لي هما
أهون عليّ بما قال: الضغائيس
وبالنظائر أقضي والمقاييس
فلست أجهل أقوال الضغائيس^(١)

* * *

(١) أخبر القضاة، ٧٩/٣.